www.alsabahpress.com Alsabah Media
No. 4554 | الخميس | 29 رمضان 1444 هـ | 20 أبريل 2023 م | السنة السادسة عشرة

وآثارها الاجتماعية

أما القول الثاني، فقد ذهب أصحابه إلى أن زكاة الفطر تجب بطلوع فجر يوم العيد، واستدلوا بما رواه البيهقي والدار قطني عن ابن عمر: "فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال: أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم"، قال محمد عبد الفتاح البنهاوي معلقاً: "أضاف الإغناء في الحديث إلى يوم العيد والإضافة للاختصاص، فدل هذا على أنها تجب بطلوع الفجر".

مقدار زكاة الفطر

إذا نظرنا إلى المقدار الذي كان يخرجه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، فإننا سنجد أن مقدار زكاة الفطر لا يعتبر من المسائل التي تطرح إشكالاً ملحاً، فهناك عدة أحاديث توضح لنا مقدار زكاة الفطر في ذلك الزمن، منها حديث ابْنِ عمر رضي الله عنهما قَالَ: "فَرَضَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالحرّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ"، وحديث أَبِي سَعِيدَ الخدري: "كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الفطر صَاعًا مِنْ طَعَامٍ، أَوْ صَاعًا من شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا من تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا من أَقِطٍ، أَوْ صَاعًا من زَبِيبٍ".

وتحدث العلماء عن مقدار الصاع الذي تُؤَدّى به زكاة الفطر، فقالوا إن الصاع أربع حفنات بكفي الرجل المعتدل، أي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما، قال الفيروزبادي: "وجربت ذلك فوجدته صحيحاً"، وقال الشيخ ابن باز: "ومقداره أربع حفنات بملء اليدين المعتدلتين من الطعام اليابس كالتمر والحنطة ونحو ذلك، أما من جهة الوزن فمقداره أربعمائة وثمانون مثقالاً"، أما اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فأوضحت مقدار الصاع أكثر عندما قالت: "المقدار الواجب في زكاة الفطر عن كل فرد صاع واحد بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، ومقداره بالكيلو ثلاثة كيلو تقريباً".

لقد رأينا من خلال الأحاديث السابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يخرجون زكاة الفطر من الطعام أو الشعير أو التمر أو الأقط أو الزبيب، ولكننا لم نقف على حديث نبوي يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يخرجون زكاة الفطر من النقود، ولا شك أن هذا الأمر يمثل إشكالاً فقهياً خاصة في ظل دعوة بعض العلماء المعاصرين إلى إخراج الزكاة من النقود والعملات المختلفة.

ومن دون الدخول في التفاصيل، وفي خضم التطرق لزكاة الفطر أحكامها وآثارها، نود أن نذكر بأن الخلاف حول إخراج زكاة الفطر من النقود ليس خلافا معاصراً وإنما خلاف قديم حديث، فقد حصل خلاف بين الفقهاء حول هذه المسألة قديماً وحديثاً، فذهب فريق إلى وجوب إخراج زكاة الفطر من قوت البلد تمسكاً بالنصوص الشرعية الصريحة، قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: "ولا تجزئ القيمة لأنه عدول عن النصوص"، وذهبت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء إلى أنه "لا يجوز إخراج زكاة الفطر نقوداً، لأن المسألة الشرعية دلت على وجوب إخراجها طعاماً، ولا يجوز العدول عن الأدلة الشرعية لقول أحد من الناس".

أما الفريق الثاني، فذهب إلى جواز إخراج زكاة الفطر من القيمة واستدل على هذا الرأي بجملة من الأدلة، منها "أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة نص في تحريم دفع القيمة".

مصارف زكاة الفطر

كانت الأحاديث النبوية صريحة في تحديد مصارف زكاة الفطر، فقد رأينا في حديث ابن عباس: "فَرَضَ رسولُ اللهِ صدقةَ الفطرِ طُهْرَةً لِلصّائمِ مِنَ اللّغْوِ والرّفثِ وطُعْمَةً للْمَساكينِ.. إلخ"، ورغم أن الفقهاء أجمعوا على أن زكاة الفطر تصرف لفقراء المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم: "أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم"، إلا أنه وقع خلاف بين العلماء هل تصرف على الأصناف الثمانية المنصوص عليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أم لا؟

آثار زكاة الفطر

للزكاة بشكل عام أهداف وآثار اجتماعية واقتصادية عديدة بعضها يعود على المزكي وبعضها يعود على الفرد الواحد المستفيد منها وبعضها يعود على المجتمع بشكل كامل، ولا يخفى على عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرض زكاة الفطر إلا لحكمة بليغة وغاية عظيمة تخص مصلحة المزكي والفرد المسلم والأمة الإسلامية جمعاء في كل زمان ومكان، وقد كانت هذه الحكمة والغاية واضحة من خلال الأحاديث النبوية وخاصة حديث ابن عباس الذي جاء فيه أن "صدقة الفطر طُهْرَةً للصّائم مِنَ اللغْو والرّفثِ وَطُعْمَةً للْمَساكين".

وإذا أردنا أن نكشف عن بعض الآثار الاجتماعية لزكاة الفطر من خلال حديث ابن عباس السابق، فإننا يمكن أن نقول إن أول أثر من آثار زكاة الفطر يتعلق بالفرد، ويعني ذلك أن زكاة الفطر "تعمل عمل السنن الراتبة مع الصلوات الخمس المفروضة، تجبر ما قد يحدث فيه من غفلة، وما اعتراه من شائبة"، وقد ذهب وكيع ابن الجراح إلى أن زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة، فتجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة.

أما الأثر الثاني الذي يمكن أن نستنتجه من خلال الحديث فيتعلق بالمجتمع "طُعْمَةً للْمَساكين"، إذ لا شك أن إدخال السرور والفرح على المساكين في يوم العيد المبارك أمر عظيم له أثر بالغ في النفوس المؤمنة ودور بارز في إسعاد المجتمعات المسلمة، فـ"الفقير إذا وجد الغني يهتم به ويعطف عليه ويعطيه مما عنده فإن هذا يسعده أيما سعادة، ويحب الخير لهذا الغني ويدعو له بالمزيد، ويزول الحقد من قلوب الفقراء على الأغنياء، فيتماسك المجتمع المسلم وتعم الفرحة والسرور، ويصبح العيد عيداً سعيداً على الجميع".

وقفات رمضانية

السبع المثاني

تسمى سورة الفاتحة بالسبع المثاني لأن المصلي يثني بها أي يعيدها في كل ركعة من صلاته، أو لأن المصلي يثني عند قراءتها على الله عز وجل، ويعني هذا الثناء أنه يمدحه بها، أما السبع، فهذا لأن عدد آياتها سبع آيات، وهذه الآيات وتفاسيرها هي بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) تفتتح آيات سورَة الفاتحةَ بقراءة القرآنَ باسَم الله مستعينا به، (اللَّه) المعبود بحق دون سواه، وهو أخص أسماء اللَّه تعالى، ولا يسمى به غيره سبحانه. و(الرَّحْمَنِ) هو ذو الرحمة العامة الذي وسعت كل شيء، (الرَّحِيمِ) بالمؤمنين الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) حيث يتمَ الثناء في هذه الآية عَلَى اللهَ بصفاته التي تشمل أوصاف الكمال، وبنعمه ما ظهر منها وما بطن، دينية كانت أو دنيوية، وفي ضمن هذه الآية أَمْرٌ لعباد الله أن يحمدوه، فهو وحده المستحق للعبادة، وهو سبحانه المنشئ للخلق، القائم بأمورهم، المربي لجميع خلقه بنعمه، ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) (الرَّحْمَنِ)هو الذي وسعت رحمتَه كلَ شَيء، (الرَّحِيمِ)، بالمؤمنين، وهما اسمان من أسماء الله تعالى. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) فالله تعالى وحده من يملك يوم القيامة، وَهُوَ يوم الذي يجازي فيه الله عباده على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعةٍ من صلواته تذكير له من ربه باليوم الآخر، وحثٌ له على الاستعداد لهول هذا اليوم بالعمل الصالح، والكف عن السيئات والمعاصي إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) وتعني هذه الآية أن عباد اللهَ يخصونهَ وحده تعالى بالعبادة، ويستعينون به في جميع أمورهم فالأمر كله بيده سبحانه، لا يملك منه أحد مثقال ذرة. كما أن في هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة كالاستغاثة والدعاء والذبح والطواف إلا لله وحده، وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير اله، ومن أمراض الرياء والكبرياء والعجب اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) وهي طلب من عباده تعالى أن يوفقهم ويهديهم ويرشدهم إلى الطريق المستقيم، ،وأن يثبتهم عليه إلى أن يلقوه، وهو الإسلام، الذي هو الطريق الواضح الذي يوصل إلى رضوان الله و جنته، الذي دل عليه خاتم رسله وأنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا سبيل إلي سعادة العبد إلا بالإستقامة عليه. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7) طريق الذين أنعمت عليهم مَنَ الصدّيقينَ والنبيين والشهداء والصالحين، فهم أهل الاستقامة والهداية ، و أن لا يجعل عباده ممن سلك طريق المغضوب عليهم، أولئك الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به ، كاليهود ومن كان على شاكلتهم، والضالين، وهم الذين لم يهتدوا، فضلوا الطريق، وهم النصارى، ومن اتبع سنتهم. وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجهل والجحود والضلال، ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمةالإسلام

«وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»

لقد خلقنا الله تعالى لعبادته ، وأعظم العبادات أركان الإسلام الخمسة ، وقد تكلمت تفصيلا عن الركن الأول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وباقي الأركان هي : إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلى . في هذه الآيات يبين الله تعالى الغاية من خلق الخلق بنوعيه من الانس والجن ، وهى «إلا ليعبدون» ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه..... والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات.... فتأمل ، فالمراد بالعبادة التذلل والخضوع لا بالتسخير لأن الكل عابدون إياه تعالى بالتسخير لا فرق بين مؤمن ، وكافر ، وبر ، وفاجر ، وطير وحيوان وجمادات واحياء، كما في قوله تعالى : « والنجم والشجر يَسْجُدَانِ « [الرحمن : 6]...فهذه عبادة بالتسخير .... وكما في قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11). ويؤيد ذلك ما قالهَ علي بن أبي طالب رضى الله عنهَ : «إلا ليعبدون» أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي ، ويؤيده قوله عز وجل: « وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا « وقيل: «إلا ليعبدون» إلا ليوحدوني ، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عز وجل : «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ومثل هذه الآيات يأتي لبيان صنيع المكذبين حيث تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها !!! فقوله : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون « خبر مستعمل في التعريض بالمشركين الذين انحرفوا عن الفطرة التي خلقوا عليها فخالفوا سنتها اتباعا لتضليل المضلين . واللام في « ليعبدون « لام العلة ، أي ما خلقتهم لعلة إلا علة عبادتهم إياي . والتقدير : لإرادتي أن يعبدون ، ويدل على هذا التقدير قوله في جملة البَيان : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون». أي ما أرضى لوجودهم إلا أن يعترفوا لي بالتفرد بالإلهية. فمعنى الإرادة هنا : الرضى والمحبة. ونخلص مما تقدم بأن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه ، وهذا حقه على الخلق ، فمنهم من حقق الغاية التى ما خلق الله الخلق الا لأجلها وقام بمقتضى حق ربه عليه ، وهم المؤمنون ، ومنهم من كفر وخالف وعارض قصد الله ومراده من خلق الخليقة وهم الكافرون..... ومن هنا يتقرر أن عبادة الخلق لربهم وخالقهم - الله الحكيم العزيز - هى حقه الخالص الذى يلزم الخلق جميعا أداءه والقيام بموجباته وانه أمر لازم حتم لااختيار فيه .